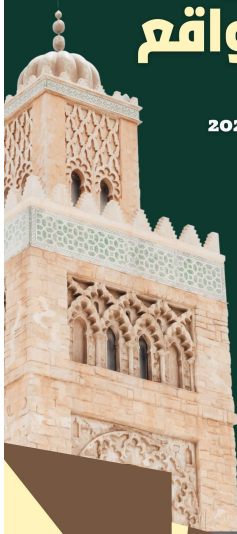




إصدارات مخبر إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية  
كلية العلوم الإسلامية - جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي - الجزائر

بحوث الملتقى الدولي الثامن  
**جهود علماء الغرب الإسلامي  
في تنزيل النص القرآني على الواقع**

بتاريخ: 21 و22 ربيع الثاني 1444هـ / الموافق لـ 15 و16 نوفمبر 2022



# منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمته في تنزيل الآيات في الواقع المعاصر - دراسة تحليلية -

د/ مزنة عبد العزيز علي اللحيان

كلية الشريعة الإسلامية-المسجد النبوي - المملكة العربية السعودية

[gmazna5000@gmail.com](mailto:gmazna5000@gmail.com)



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم إمام المهتدين بعثه الله بالهدى والحق المبين نشهد أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، ونحن على ذلك من الشاهدين، وصل الله وسلم عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه الغر الميامين صلاة دائمة إلى يوم الدين. أما بعد..

فإن الإسلام دين الهدى والتقى الكامل المهيمن على المناهج كلها أكمل الله به النعمة وبه أتمها، كما قال سبحانه جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]. قد حوى جميع علوم الدين والدنيا باق خالد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ والباحث في تراث المسلمين وكتابتهم ليجد عظيم استثمارهم لهذا الفضل العظيم؛ وتزيله على واقعهم المعاصر رغم اختلاف أمصارهم وتعاقب أزمانهم.

ومن أولئك العلماء الذين اعتنوا بذلك فجعلوا كتاب الله دليلهم ومنهجهم بحثوا في درره ونالوا أحسبهم من خيره وهديه ﷺ إمامٌ كبير يذل حياته لخدمة العلم، واستفاد منه خلق كثير، ذلك هو الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله، تظهر جليلة في تنوع مصنفاته وكثرتها واتساع موضوعاتها وتمايزها التي إن دلت إنما تدل على عقلية فذة نستشف بزوغها في غضون مؤلفاته والتي من أظهرها سفره العظيم " التحرير والتنوير"، لهذا تجده لا تكاد تخلو قضية عنده أو حادث من محيطه إلا وكتاب الله تعالى عمدته في استشهاده عليها احتجاجاً واستدلاً واستنباطاً؛ ولا غرو فكتاب الله أساس الشريعة وعمدة أدلتها، وإليه ترجع علوم الحياتين برمتها، يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: 89]. حيث يقول في تفسيرها: (تبيانا لكل شيء) "من إصلاح النفوس،

وإكمال الأخلاق، وتقويم المجتمع المدني، وتبين الحقوق، وما تتوقف عليه الدعوة من الاستدلال على الوجدانية، وصدق الرسول ﷺ، وما يأتي في خلال ذلك من الحقائق العلمية والدقائق الكونية، ووصف أحوال الأمم، وأسباب فلاحها وخسارها، والموعظة بآثارها بشواهد التاريخ، وما يتخلل ذلك من قوانينهم وحضاراتهم وصنائعهم. وفي خلال ذلك كله أسرار ونكت من أصول العلوم والمعارف صالحة لأن تكون بياناً لكل شيء... وهذا من أبداع الإعجاز"<sup>(1)</sup>.

ومن هنا ارتأيت تتبع لمحات من عبقرية هذا الشيخ الجليل، ذلك من خلال القيام بدراسة علمية تتلمس معالم من منهجيته في تنزيله النصوص الشرعية في تقويم واقعه وإصلاح مجتمعه جاءت تحت عنوان: "منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيل الآيات على الواقع المعاصر: دراسة تحليلية"، سائلة المولى الهدى والسداد وحسن العاقبة في الدنيا ويوم الحساب.

**التعريف بالموضوع:** سيتناول الموضوع التعرف على منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيله الآيات على الواقع والتي يستبين في ضوءها ملامح من منهجية الشيخ ابن عاشور رحمته وعظم عنايته بمحيطه وبراعته في تنزيل الآيات عليه وبيانه طرف من إعجازها في معالجة الواقع متجاوزة حدود الزمان والمكان إلى يوم القيامة.

**أهمية الموضوع:** تضافرت عدة أسباب لتكون في مجملها الدافع الأساسي لاختياره، تتلخص في الآتي:

- أن هذا الموضوع يجعل المسلم ينشغل بكتاب الله تعالى ويتدبره ويعيه ويفهمه عسى أن يكسبه ذلك ثمرة من ثماره البانعة فتضيء له ولأمته الدنيا والآخرة.
- أن الشيخ ابن عاشور رحمته من الأعلام الذين جمعوا جملة من الفوائد والأحكام، التي يجدر الاهتمام بها والإشارة إليها في دراسات بينة مستفيضة
- المتأمل في مؤلفات الشيخ ابن عاشور رحمته يجد فيها العقل الراجح والرأي الصائب وسعة الفكر وقوة البيان والبرهان القاطع، فدراستها تعد مفتاحاً لمزيد من الاجتهاد والاستنباط لاسيما في جانب إصلاح الواقع وما يمر به من الأحداث.
- أنّ مجريات العصر وتحدياته في تزايد وتجدد، وليس لطالب العلم سبيل أنفع له من النظر في كتاب الله والوقوف على مضامينه وكلام العلماء في تبيينه، ومحاولة معالجتها وفق منهج واضح سليم.

---

(1) التحرير والتنوير، (14/253)

- يجمع هذا الموضوع بين علوم عظيمة الأمر الذي يفيد بدوره في تلاقح العلوم وتبادلها والإفادة بوسائلها وآلياتها، ومن ثم الخروج بأجلّ الفوائد وأنفعها.

أهداف البحث: هدفت دراسة هذا الموضوع إلى تحقيق عددٍ من الأهداف، يمكن إجمالها فيما يأتي:

- التعريف الموجز بالشيخ ابن عاشور رحمته وعصره.
- بيان عناية الشيخ ابن عاشور رحمته بالواقع وتنزيل الآيات عليه.
- ذكر أبرز الملامح المنهجية للشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيه الآيات على الواقع.
- ذكر نماذج من القضايا عند الشيخ ابن عاشور رحمته وتنزيه الآيات عليها.

تساؤلات البحث وإشكالاته: يتمحور سؤال البحث الرئيس حول: ما منهج الشيخ ابن عاشور/ في تنزيل الآيات على الواقع المعاصر، ويتفرع منه الأسئلة التالية:

1. من هو الشيخ ابن عاشور رحمته وما أبرز أخلاقه وصفاته؟
  2. ما معالم عناية الشيخ ابن عاشور رحمته بالواقع وتنزيه الآيات عليه؟
  3. ما أهم ملامح منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيل الآيات على واقعه المعاصر؟
  4. ما أبرز صور عناية الشيخ ابن عاشور رحمته بإصلاح الواقع المعاصر وتنزيه الآيات عليه؟
- الدراسات السابقة: هناك عدة دراسات تتشارك مع هذه الدراسة: "منهج الشيخ ابن عاشور/ في تنزيل الآيات على الواقع المعاصر" من أهمها ما يأتي:

الدراسة الأولى: منهج الطاهر بن عاشور في أصول الاعتقاد دراسة وتقويماً، للباحث: محمد بن حسن العمري، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بالرياض، 1417هـ. وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية في كونها اختصت بتناول منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تناوله مسائل الاعتقاد، وعرض ذلك على منهج أهل السنة والجماعة، وبيان وجه الاختلاف بينه وبينهم، بينما تتناول الدراسة الحالية منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيل الآيات على الواقع فهما مختلفتان منهجاً، وبيئاً.

الدراسة الثانية: منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تقرير العقيدة من خلال تفسيره "التحرير والتنوير". للباحث: آدم جمعة آدم، رسالة ماجستير بكلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية بالسودان، 2004م. وتختلف هذه الدراسة بكونها تتناول موضوعات العقيدة؛ فهي تتناول منهج الشيخ بالتحليل والنقد والدراسة وعرضه على منهج أهل السنة والجماعة، في حين تركز الدراسة الحالية في بيان منهجه الشيخ في تنزيه الآيات على الواقع.

الدراسة الثالثة: الإمام الطاهر محمد ابن عاشور رحمته الله ومنهجه في توجيه القراءات من خلال كتابه "التحرير والتنوير"، للباحث: محمد سعد عبد الله القرني، رسالة ماجستير، بكلية الدعوة وأصول الدين، بجامعة أم القرى، 1424هـ. وتختلف هذه الدراسة عن الدراسة الحالية في أنها قامت بالتعريف بشروط القراءات عند ابن عاشور رحمته الله من حيث مصادره في توجيه القراءات، وتعبيراته، وموقفه من الترجيح بين القراءات المتواترة، ودفاعه عنها ضد الطاعنين بها، وكذلك موقفه من القراءات الشاذة، بيد أنّ هذه الدراسة تتعلق ببيان منهج الشيخ ابن عاشور رحمته الله في تنزيله الآيات بشكل عام.

الدراسة الرابعة: منهج الشيخ ابن عاشور رحمته الله في تفسير آيات الأحكام وأثره على الفروع الفقهية من خلال كتابه "التحرير والتنوير": دراسة وصفية تحليلية. للباحث: علي هارون محمد، رسالة دكتوراه، من كلية الدراسات العليا بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، بالسودان، عام: 2010م. وتختلف هذه الدراسات عن الدراسة الحالية في كونها تركز على بيان منهج الشيخ ابن عاشور رحمته الله في الأحكام الشرعية؛ فهي دراسة فقهية مؤصلة، في حين أنّ الدراسة الحالية تتناول منهج الشيخ ابن عاشور رحمته الله في تنزيله الآيات بشكل عام؛ فهي دراسة ذات منحنى ثقافي إثرائي.

وبذلك تتضح الجوانب التي تختلف فيها الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة، كما تظهر الإضافة التي تميّزها عن سابقتها، مما لم يتم تناوله من قبل الباحثين -حسب علم الباحثة-، والله الموفق الهادي إلى سواء السبيل.

منهج البحث؛ وضوابطه: اقتضى البحث استخدام عدد من المناهج العلمية منها:

1. المنهج الاستقرائي؛ وذلك بجمع آراء الشيخ ابن عاشور رحمته الله، وتبويب ذلك على محاور البحث.
2. المنهج الوصفي؛ وذلك بعرض آراء الشيخ رحمته الله كما هي دون تعديل يمس جوهر الفكرة.
3. المنهج التحليلي: تحليل الآراء والأفكار الواردة في مؤلفات الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمته الله والتي لها علاقة بالموضوع المراد دراسته.
4. المنهج النقدي؛ وذلك عند مراجعة آراء الشيخ ابن عاشور رحمته الله في اعتدال وفق الضوابط الشرعية.

هذا إلى جانب أن الباحثة التزمت بالضوابط الآتية:

- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها إلى مواضعها بذكر اسم السورة، ورقم الآية في الحاشية.

- تخريج الأحاديث النبوية من كتب السنة المعتمدة، دون التزام لفظ من خُرج منه، فما كان في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بتخريجه منهما، دون ذكر حكمه؛ لتلقي الأمة لهما بالقبول، وما لم يوجد فيهما يُخرَج من كتب السنة الأخرى، مع بيان الحكم.
- التعريف بالكلمات والمصطلحات الغريبة، وذلك بالرجوع إلى الكتب المتخصصة من المعاجم والقواميس وغريب اللغة والحديث وغيرها.
- الرجوع إلى المصادر الأصلية قدر المستطاع، وما لم يوجد منها يشار إلى من نقل عنه، مع الاقتصار على اسم الشهرة واسم الكتاب، تجنبًا لثقل الحاشية وإرجاء بقية المعلومات إلى ثبت المراجع.
- ما أخذ بالنص يوضع بين قوسين "..."، عدا الشواهد الشعرية لغناها عن ذلك، وما كتب بالمعنى أو بتصرف يُشار إليه في الحاشية بكلمة "ينظر".
- تم تمييز مؤلفات الشيخ ابن عاشور رحمته بالاقتصار على اسم الكتاب وموضع المعلومة من صفحاته.
- عمل فهرس المراجع والموضوعات.

تقسيمات البحث: يتكون البحث من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة وفهارس على النحو الآتي:

المقدمة: وفيها: (التعريف بالموضوع وأهميته وتساؤلاته، والدراسات السابقة، وأهدافه، ومنهج البحث وضوابطه، وتقسيماته).

تمهيد: التعريف بالشيخ ابن عاشور رحمته وعصره.

المبحث الأول: عناية الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيله الآيات على الواقع.

المبحث الثاني: ملامح من منهجية الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيله الآيات على الواقع.

المبحث الثالث: وقفات من تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ ابن عاشور رحمته.

الخاتمة: النتائج - التوصيات.

الفهارس: فهرس المصادر والمراجع وفهرس الموضوعات.

#### التمهيد: التعريف بالشيخ ابن عاشور رحمته وعصره

إنَّ البذرة الصالحة لا تنمو إلا بسقي ورعاية، وفي جو تتغذى منه وتعيش فيه، فكل حي في الوجود يتأثر بالهواء الذي يستنشقه والبيئة التي تظله؛ ولذلك كان للعصر الذي يعيش فيه العالم الأثر الذي يوجهه، وقد يكون الأثر من جنس حال العصر، فكثرة الفساد قد تحمل على التفكير الجدي في الإصلاح، وكثرة الشر قد تحمل على استحصاد العزائم للخير، وقد تكون دافعة للمصلح لأن يفكر في أسباب الشر فيقتلعها، وفي بذور الخير فيغذيها.

وقد كان العالم الإسلامي في أعقاب القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي مائجًا

بالفوضى والاضطرابات، حيث التأمروبي على دولة الخلافة العثمانية، وسعي الدول الغربية إلى اقتسام أطراف العالم الإسلامي، بمحاولة بسط نفوذها على الولايات العثمانية في أوروبا والشرق العربي وشمال إفريقيا، هذا من الخارج<sup>(1)</sup>. أما من داخله فيمور في كل اتجاه نتيجة تسلط الأعداء والسير خلف الأهواء، فانتشر الاستبداد والاضطهاد، وظهرت الفتن والكوارث، وساد الفقر والمرض، وانتشرت البدع، وشاع الجهل حتى غدا فهم كثير من المسلمين للإسلام منحرفاً بعيداً عن روح الإسلام الخالص، عقيدة وعبادة وسلوكاً.

ولم تكن البلاد التونسية بمنأى عن ذلك يومئذ، بل كانت كأخواتها من الأقطار الإسلامية<sup>(2)</sup> تحتسي مرارة التخلف على مختلف الأصعدة وشتى المجالات علمياً وسياسياً واقتصادياً ودينياً. إلا أن هذه الأوضاع الأليمة لم تقف حجر عثرة لثلة من الأنفس الأبية لتجسد في غضون ذلك معنى التجاوب العكسي بين العصر وأهله. حيث ظهرت حركات إصلاحية في مختلف أقطار الدول الإسلامية، تباينت طرائقها بحسب الظروف البيئية، وما بين شد وجذب بين رجال هذه الحركات والظروف المحيطة بهم، بشرت العائلة العاشورية بولادة محمد الطاهر ابن عاشور رحمه الله بقصر جده لأمه "بالمرسى"، من الضواحي الشمالية للعاصمة التونسية في جمادى الأولى سنة 1299هـ الموافق لشهر سبتمبر/أيلول 1879م<sup>(3)</sup>.

ليعايش بعد ذلك مرحلتين تاريخيتين من تاريخ تونس الحديث والمعاصر، الأولى: مرحلة الاحتلال العسكري الفرنسي المباشر: من سنة 1298هـ-1881م إلى 1363هـ-1956م، أما الثانية: فهي مرحلة الحصول على الاستقلال السياسي وتبدأ من سنة: 1363هـ-1956م إلى سنة 1393-1973م وهي السنة التي توفي فيها<sup>(4)</sup>. كانت لها أبلغ الأثر في فهم واقعه والسعي في إصلاحه ورقبه.

نسبه: هو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد ابن عاشور رحمته، وأمه: فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب ابن محمد الطيب بن محمد بو عتور<sup>(5)</sup>. لينشأ الشيخ ابن عاشور رحمته في كنف والد يأمل أن يكون على مثال جده في النبوغ والعلم والعبقرية، وفي جناح جده الوزير الذي يحرص أن يكون خليفته في العلم والجاه والسلطان<sup>(6)</sup>.

فالشيخ ابن عاشور رحمته سليل أسرة علمية امتازت بالسؤدد والعلم والفضل، أباً عن

(1) ينظر: تاريخ تونس، لمحمد الهادي الشرف، (ص: 70 وما بعدها).

(2) ينظر: من أعلام الزيتونة: الإمام محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، للغالي، (ص: 25).

(3) ينظر: من أعلام الزيتونة: الإمام محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، للغالي، (ص: 25)، (ص: 42).

(4) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، للحسني، (ص: 74-75).

(5) ينظر: كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، (ص: 7).

(6) ينظر: من أعلام الزيتونة: الإمام محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، للغالي، (ص: 41-42).

جد، منهم من تقدم الشيخ ابن عاشور رحمته ومنهم من عاصره، فكان لهم الأثر المباشر في تنشئته وتوجيهه رحمهم الله جميعاً<sup>(1)</sup>. ليتبين بذلك أثر العناية الأسرية في تكوين العقلية العلمية لأبنائها، مما يجعل الوقوف على سير العلماء منهجاً أصيلاً في التربية يؤخذ من خلالها طرائق التعامل السوية ومنافعها على مستوى الأسرة والمجتمع.

شيوخه: أقبل الشيخ ابن عاشور رحمته على تحصيل العلم من علماء عصره الأجلاء، فكان لهم أبلغ التأثير في تكوينه، ومن أبرزهم شيخان كان لهما وزن كبير في تلك الأوساط: أحدهما: جده ومربيه؛ محمد العزيز بوعتور وأما الآخر فالشيخ سالم بوحاجب الذي كان كثيراً ما يتردد اسمه في مؤلفات الشيخ ابن عاشور /؛ مما يدل على مدى التلاقح الفكري بينها<sup>(2)</sup>. وهكذا نشأ متأصلاً في العلوم الشرعية، ومعاصراً الحركات الإصلاحية<sup>(3)</sup>، مصححاً مساراتها، ومتشرباً طرائق مشايخه العلمية في إصلاح حياته الاجتماعية.

تلاميذه: تتلمذ على يديه عدد كثير وجم غفير من كبار الوزراء وعظماء الكتاب ومشاهير الحكام ورجال الصحافة والاقتصاد<sup>(4)</sup>، إلا أن أولهم وأشهرهم على الإطلاق، ابنه العلامة الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور رحمته، والشيخ محمد الحبيب بلخوجة رحمته<sup>(5)</sup>. فنشؤوا على يديه ونهلوا من علمه ليصبحوا فيما بعد أعلاماً في مضمار الدعوة يشار إليهم بالبنان، شيوخاً في ذلك الجامع الأعظم الذي خرّج أجيالاً وأجيالاً، فما من عائلة تونسية أو جزائرية على الأخص إلا ولها صلة بجامع الزيتونة، والذي غدا بفضل الله تعالى ثم بفضل إصلاحات الشيخ ابن عاشور رحمته قبلة علمية يقصد إليها أهل العلم من شتى أرجاء المعمورة قاطبة<sup>(6)</sup>.

أشهر مؤلفاته: اعتنى الشيخ ابن عاشور رحمه الله بأمهات العلوم الإسلامية وبرع فيها، فتنوعت مؤلفاته متجاوزة الأربعين مصنفاً من أهمها ما يأتي:

1. تفسير "التحرير والتنوير" المسعى ب: "تحرير المعنى الشديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"، يقع في 30 جزءاً، وقد حوى التحاليل اللغوية الدقيقة والاجتهادات المعقدة والترجيحات القيمة، ويعد أهم هذه الآثار وأشهرها على الإطلاق.

2. "مقاصد الشريعة"، ويعد فريداً في بابهِ من حيث التوسع والشمول للكشف عن أبعاد الغاية المروم تحقيقها وتقديرها، وقد عملت جلّ الجامعات الإسلامية على اعتماده، وعُدَّ الشيخ فيه مجدداً، بل مجتهداً أضاف إلى المعرفة الشرعية باباً من أهم أبوابها، مسجلاً

(1) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، لبلخوجة، (ص: 97).

(2) ينظر: نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، للحسني، (ص: 83).

(3) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، لبلخوجة، (ص: 97).

(4) ينظر: من أعلام الزيتونة: الإمام محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره، للغالي، (ص: 70).

(5) ينظر: أليس الصبح بقريب، (ص: 9).

(6) ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، لبلخوجة، (ص: 29).

به مرحلة هامة من أهم مراحل هذا العلم، وكان فيه مثلاً لتوظيف المعرفة التراكمية والانطلاق منها لتأسيس معرفة جديدة معتمدة عليها متميزة عنها.

3. "أليس الصبح بقريب"، ويعد من الأعمال الجليلة للشيخ ابن عاشور رحمته مع كونه كتبه في بداية حياته إلا أنه كان ذا نظرة عامة شاملة في مجال الإصلاح التربوي، وقد جسده ميدانياً في إصلاح التعليم بجامعة الزيتونة، فحق للمربين تأملها والإفادة منها.

4. "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام"، وقد عالج الشيخ ابن عاشور رحمته فيه قضايا متعددة؛ إذ تطرق فيه إلى خصائص هذا الدين في إصلاح الأفراد، وفي القسم الثاني عالج الإصلاح الاجتماعي وذكر أصولاً مهمة ومبادئ قويمه قام عليها هذا الدين العظيم.

ولديه غيرها بضعة وثلاثون مؤلفاً ما بين مطبوع ومخطوط والتي امتازت بكثير من المميزات والتبويات، والتي لم تطغَ كثرتها على جودتها؛ إذ إنه كثيراً ما تؤثر كثرة التأليف في مجال ما على جودتها وحصافتها فكيف بمجالات متنوعة وعلوم متفرقة<sup>(1)</sup>.

صفاته: امتاز الشيخ ابن عاشور رحمته بأخلاق عظيمة فاضلة، من وفياته تظهر من جنبات أفكاره وفي ثنايا كتاباته، فكيف بمن عاشره وتلمذ تحت يده؛ لعل من أهمها:

الجود والسخاء: عادة ما يعرف السخاء بالمال والإنفاق فيه؛ ولكن هناك نوع آخر أجل منه وأعظم وهو السخاء المعرفي والتدفق العلمي؛ وقد تميز الشيخ ابن عاشور رحمته بذلك أيما تمييز؛ فهو سخي على مجتمعه يعطيه جل ما عنده وزبدة فكره وتقريراته يفصل له ما بظنه يستصعبه ويبين له ما يجبهه ويشتهه عليه ويستثقله. وإن المتأمل في ذلك ليجده حاضراً في أول مجلد من تفسيره بل وفي أول وهلة من تفسيره؛ فقد بين تفسير البسمة في بضع عشر صفحة؛ ليتبين في غضون عظم إفاضته بالعلم والمعرفة؛ فلا غرابة في حب الناس له واعتداده، فالنفوس مجبولة على حبٍّ من أحسن إليها.

الشجاعة: مما يوضح ذلك ما قام به بورقيبة من فتوى الإفطار في رمضان فقام في مشهد مهيب ليقول مقولته الشهيرة: "صدق الله وكذب بورقيبة" بعد أن قرأ آية الصيام؛ فقطع دابر هذه الفتنة بسبب ثباته وصدده هذا الفساد. فالحق مصيره الانبلاج ولو بعد حين؛ وإن قضية التجنيس لتعد من المحن التي عصفت بالشيخ ابن عاشور رحمته في حياته ليتجلى منها شجاعته وجلده ومضيه قدماً فيما هو بصدهد ليجسد طريقة عظمى من طرق التعامل مع الأحداث وهي التغافل عنه والانشغال في المهمات؛ فالصبح قادم وإن طال ليله.

الصبر: من أبرز ما يتجلى منه من هذه السمات صبره وطول نفسه الذي استمر لقراءة النصف قرن من الزمان<sup>(2)</sup>؛ يقرر ويبين ويوضح ويدلل حتى تجاوزت صفحات تفسيره بضعة

(1) ينظر: من أعلام الزيتونة: الإمام محمد الطاهر بن عاشور حياته وأثاره، للغالي، (ص: 19-20).

(2) ذلك أنه اعتنى بالإضافة إليه وتهذيبه حتى بعد الانتهاء من تصنيفه، ومن ذلك ما أورده في تفسير =

عشر ألف صفحة؛ حيث يقول في ختامه كلمته المؤثرة التي جاء فيها: "قد وفيت بما نويت، وحقق الله ما ارتجيت، فجئت بما سمح به الجهد من بيان معاني القرآن ودقائق نظامه وخصائص بلاغته، مما اقتبس الذهن من أقوال الأئمة، واقتدح من زبد لإنارة الفكر والهباب الهمة، وقد جئت بما أرجو أن أكون وفقت فيه للإبانة عن حقائق مغفول عنها، ودقائق ربما جلت وجوهها ولم تجل كنهها، فإن هذا منال لا يبلغ العقل البشري إلى تمامه، ومن رام ذلك فقد رام والجوزاء دون مرامه. وإن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيًا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلبي طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيع، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح. وكان تمام هذا التفسير عصريوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف. فكانت مدة تأليفه تسعًا وثلاثين سنة وستة أشهر... وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن ينجد ويغور، وأن ينفع به الخاصة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور"<sup>(1)</sup>.

**التواضع:** من يتمعن في حديث الشيخ ابن عاشور رحمته الله يجد التواضع في شموخ واعتزاز؛ تواضع بلا خنوع وابتدال، وهذا ما تكشف استشهاداته وإيراداته واستدراكاته وتعقباته، بله مشاريعه ومنجزاته تجده ينسب الفضل لأهله؛ إذ لا خير لمن لا يعرف للسابق فضله، غير باخس حق نفسه، ومن ذلك اعترافه بالفضل والامتنان لغيره؛ والاعتراف بفضائل أهل الفضائل من عظيم المناقب والفضائل، وإن المتتبع لاستدراكات الشيخ ابن عاشور رحمته الله يلحظ بجلاء أدبه واعترافه بمنزلة العالم وإن اختلف معه، من ذلك تعقيبه على الإمام الجويني رحمته الله تردده في قبول المصالح المرسله فقال: "واني لأعجب فرط العجب من إمام الحرمين -على جلاله علمه ونفاذ فهمه- كيف تردد في هذا المقام"<sup>(2)</sup>، وكأنه بذلك يجسد مسلًا قويًا في التعامل مع الخلافات العلمية واحتساب الإغذار فيها إن كان للعذر طريقًا. فالشيخ رحمته الله رغم اعتزازه بنفسه وإدراك تميزه وسبقه، إلا إنه لا يهضم غيره حقه وإنما يحتفي به معترفًا بفضله ويوقره، ذلك أن أعمال الاعتبارات الشخصية مفسد لقاصدي العلم أي مفسدة، وهو يسفر عن عقلية الشيخ ابن عاشور رحمته الله الفذة ورجاحة فكره واستقلاله، مع تأصيله وتقعيده واعتزازه، وفي هذين الطريقتين تتبين وسطية الشيخ ابن عاشور رحمته الله حيث إنه لم يغلُ بمن قبله فيتعصب له مجمدًا عقله، ولم يغالِ برأيه فينفرد فيه دون اعتبار لغيره. مشيرًا مع ذلك إلى كيفية تحققه وتحصيله. وهذا لا شك منهج

=سورة الإسراء، حيث قال في هامش (19/15): "مقال حرّره عارف عارف في المجلة المسماة: (رسالة العلم) بالملكة الأردنية عدد 2 من السنة 12 كانون الأول سنة 1968م"، وهذا التاريخ بعد تاريخ فراغه من التفسير بقرابة ثماني سنوات!

(1) التحرير والتنوير، (30/636-637).

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية، (ص: 93).

العلماء الكبار، ولو تتبع باحث مقدمات التأليف لوجد منها ما يسر خاطر ويشفي الغليل. وما أوجبنا إلى ذلك في هذا الزمان الذي طالت فيه أعناق الأقرام تراحم جهايزة الأعلام، فها هو الشيخ ابن عاشور رحمته وهو من هو، يلمح دون تصريح، وينصح دون تأنيب، مقتدياً في ذلك بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم خير ولد آدم أجمعين.

**اللطف واللين:** وقد استفاد هذا المنهج من سماحة الدين الإسلامي؛ فهو يرى أن أخذ الناس بهذا الأسلوب طريق ناجح في التزامهم قيم الدين وهو ما قرره فقال: "إن للسماحة أثراً في سرعة انتشار الشريعة وطول دوامها؛ إذ أرانا التاريخ أن سرعة امتثال الأمم للشرائع ودوامهم على اتباعها كان على مقدار اقتراب الأديان من السماحة"<sup>(1)</sup>. ولا غرابة في انتهاجه ذلك؛ فقد ذم التكلف وجعله من أسباب الانحراف عن جادة الحق والصواب. حيث يقول: "إني قد وجدت السبيل المذموم في العلم راجعاً إلى التكلف، وترك المادة واتباع بنيات الطريق، وتعسف السيل المنحرفة. وأن ملاك الصواب هو ترك التكلف؛ ولذلك أرى ملاك آداب العلم قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُكَلِّفِينَ﴾ [ص: 89]"<sup>(2)</sup>.

**قوة الحججة:** المتعمق في أطروحات الشيخ ابن عاشور رحمته يلحظ قوة حجته واستدعاء تبريراته وكأنه ينطق لمغالط ويستعرض لمعارض، فيلحظ فيه اعتقاده أنه على صوابٍ وحق، وقد بين سره في ذلك فذكر أن للإنسان في نفسه صفات تجعل في كلامه تأثيراً في نفوس السامعين، وقوة في الدعوة إليه والدفاع عنه: "يحصُلُ ذلك بالتزامه متابعة الحق، وبكونه على نحو ما يطلبه من الناس"<sup>(3)</sup>.

**الأخوة الصادقة:** غالباً ما تكون طبيعة الجاد في عمله المتعمق في مقاله الفاحص في تصنيفاته؛ ترجح عقلانيته على شعوره وعاطفته؛ بيد أن الشيخ ابن عاشور رحمته قد كان ممن جمع بين الناحيتين؛ فكان قلبه أحسبه قلب طير، حساساً جواداً للغير. يقول عنه صديقه وزميله في الطلب والحضر والسفر-موضع الإمعان وحقيقة الامتحان- الشيخ محمد الخضر حسين رحمته: "انعقدت بيني وبينه سنة 1317هـ صداقة بلغت في صفائها ومتانتها الغاية التي ليس بعدها غاية، وصداقة بهذه المنزلة تقتضي أن نلتقي كثيراً، وأن يكون كل منا يعرف من سريرة صاحبه ما يعرفه من سريرته، فكنت أرى لساناً لهجته الصدق، وسريرة نقية من كل خاطر سيئ، وهمة طماحة إلى المعالي، وجدّاً في العمل لا يمسه كلل، ومحافضة على واجبات الدين وآدابه"<sup>(4)</sup>.

(1) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 24).

(2) المرجع السابق، (ص: 57).

(3) أصول الإنشاء والخطابة، (ص: 38).

(4) تونس وجامع الزيتونة، لحسين، (ص: 156).

وفاته: بعد عمر طويل حافل بالعمل الصالح المثمر والإنتاج العلمي الغزير، قارب القرن من الزمان، انتقل الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور رحمته إلى جوار ربّه يوم الأحد 13 رجب 1393 هـ الموافق 12 أغسطس 1973 م، ودفن في مقبرة الزلاج من مدينة تونس رحمته رحمة واسعة وجمعنا به ووالدينا في دار كرامته<sup>(1)</sup>.

### المبحث الأول: عناية الشيخ ابن عاشور رحمته بتنزيل الآيات على الواقع:

اعتنى الشيخ ابن عاشور رحمته بتنزيل النص على واقعه من شتى جوانبه همه إصلاح مجتمعه بمجموعه وأفراده متخذاً من كتاب الله تعالى مرشده ودليله الذي حوى العلوم كلها صالح باق إلى انقضاء الدنيا ومن عليها، يقول الله تعالى: ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام: 38]، وقد استحضر الشيخ ابن عاشور / هذا الإعجاز التشريعي الذي لا تنفذ حكمه ولا تنقضي، مشيراً إلى "أن من مقاصد القرآن أمرين ... أحدهما: كونه شريعة دائمة، وذلك يقتضي فتح أبواب عباراته لمختلف استنباط المستنبطين، حتى تؤخذ منه أحكام الأولين والآخرين، وثانتهما: تعويد حملة هذه الشريعة، وعلماء هذه الأمة، بالتنقيب، والبحث، واستخراج المقاصد من عويصات الأدلة، حتى تكون طبقات علماء الأمة صالحة - في كل زمان- لفهم تشريع الشارع ومقصده من التشريع، ... تبعاً لاختلاف مراتب العصور"<sup>(2)</sup>. وهذه مهمة كبرى ليست شعارات تُدعى ومقالات تقال، وإنما عمل دؤوب وقاد، وهذا ما كان لانتخا عند الشيخ ابن عاشور رحمته كالشمس في رابعة النهار، من أمثلة ما يدل على ذلك قوله: "قد كان حدا بي حادي الآمال، وأملى عليّ ضميري من عام واحد وعشرين وثلاثمائة وألف، للتفكير في طرق إصلاحنا العربي الإسلامي الذي أشعرتني مدة مزاولته متعلماً وعالماً بوافر حاجته إلى الإصلاح الواسع النطاق، فعقدت عزمي على تحرير كتاب في الدعوة إلى ذلك وبيان أسبابه"<sup>(3)</sup>. يقول ذلك وعمره لا يتجاوز الخامسة والعشرين متقدماً في ذهنه إصلاح حال الأمة الإسلامية، مستشعراً عظم الأمانة على عاتق البشرية؛ ربما أن منهم من همه كيف يحصّل احتياجاته، ومنهم من يريد لها أن تأتي إلى فيه دون حتى أن يتناولها، وهذا الشيخ ابن عاشور رحمته همه النهوض بأمة الإجابة بأكملها، ولله درها من همه حقيق أن تدرس ويؤسس عليها.

وإن المتتبع لكتابات الشيخ رحمته يجد هذه السمة حاضرة بدءاً من عنوانه حتى خاتمته. ومن هذا تبيينه في تفسيره بأنه سيبتدئ من حيث انتهى من يسبقه دون إجحاف لحقه أو نقلاً لرأيه نقلاً مجرداً من الإضافة والتعقيب ولا طائل منه غير التكرار والتأييد... فالإضافة والابتكار

(1) ينظر: أليس الصبح بقريب، (ص: 12).

(2) التحرير والتنوير، (158/3).

(3) أليس الصبح بقريب، (ص: 13).

إنما تؤتي ثمارها وتكون تقدمًا حقًا حينما تأتي من حيث انتهى الآخرون؛ فينظر فيما أحسن إليه فيبقيه ويزينه ويزيده وما أخطأه ليصححه ويبينه ويقىمه. فالأقدمون "غرسوا لُنْبِي، وأسَّسوا لُنْشَيْد، وابتدؤوا لتزید"<sup>(1)</sup> وهذا منهج هام في التأليف؛ فإن التأليف لمجرد التأليف الذي لا إضافة فيه ولا تبين ولا جديد، ولا جمع متفرق أو تفصيل مجمل أو تحقيق، فإنه لا يعدو أن يكون تكرارًا لما قد قيل، وليس في ذلك قيام نهضة تُذكر أو عمران أو إعادة مجد قديم. فهذا يرتقي العلم وتبلغ الأمة مجدها، فالعلوم تراكمية لا يمكن لطالها الاستغناء عن من سبقه إليها، كما لا يمكن للساكن على حيثياتها من بناء معرفة يغبطه الناس عليها.

ولهذا نجده رحمته امتاز بالإمام بعيثيات الموضوع ومحاولة فهمها مستصحبًا علائق الأمور من تأثير الزمان أو المكان؛ ومن هنا فقد أشار رحمته إلى أثر الواقع التشريعي آنذاك وما أثمر فيه من فهم لمقاصد وحكم التشريعات، وهو ما يمكن استخلاصه من قوله: "يقصر بعض العلماء ويتوَحَّل في حَصْخَاص من الأغلاط حين يقتصر في استنباط أحكام الشريعة على اعتصار الألفاظ، ويوجِّه رأيه إلى اللفظ مقتنعًا به، فلا يزال يقلِّبه ويحلِّله ويأمل أن يستخرج لُئِه، وبهمل ما قدمناه من الاستعانة بما يحفُّ بالكلام من حافات القرائن والاصطلاحات والسياق. وإن أدق مقام في الدلالة وأحوجه إلى الاستعانة عليها مقام التشريع، وفي هذا العمل تفاوت مراتب الفقهاء"<sup>(2)</sup>. فالشيخ ابن عاشور رحمته نوه إلى أن الوحي الإلهي قد جعل للأحداث أثرًا في التنزيل، ولو شاء سبحانه أن ينزله جملة من اللوح المحفوظ وأن يقرئ نبيه عليه السلام وينفث في روعه سنته على الفور لقال كن فيكون، ولكن لحكمته تعالى ولكون شريعته باقية دائمة إلى انقضاء الدنيا ومن علمها، أعلم خلقه ضرورة فهم الواقع في الدعوة والتعليم والبيان. ولو انبرى باحث في استخراج ما لمعت به شخصية الشيخ ابن عاشور رحمته من وقفات لانتضحت معالم مهمة في حسه الواقعي الأخاذ.

معدًا ذلك غايته العظمى وأمانة على عاتقه وعائق دعاة الشريعة وعلمائها؛ "ذلك لأن العالم بالشريعة لا تلتبس عليه حقائق الأسماء الشرعية؛ فهو يفهم مواقعها حق الفهم، ويرعاها في مواقعها، ويعلم عواقبها من خير أو شر؛ فهو يأتي ويدعُ من الأعمال ما فيه مراد الله ومَقْصِدُ شرعه، فإن هو خالف ما دعت إليه الشريعة في بعض الأحوال أو في بعض الأوقات؛ لداعي شهوة أو هوى أو تعجل نفع دنيوي كان في حال المخالفة موقفًا أنه مُوَرِّط فيما لا تحمد عقباه؛ فذلك الإيقان لا يلبث أن ينصرف به عن الاسترسال في المخالفة بالإقلاق أو الإقلال"<sup>(3)</sup>. فأهل العلم هم الوسيلة الحقيقية للمعرفة الصحيحة وتنزيلها، ومن هنا فإني أدعو أن تتعامل أقلام المفكرين المسلمين في جميع دول العالم وفق هذا المبدأ،

(1) المرجع السابق، (ص: 141).

(2) مقاصد الشريعة الإسلامية، (ص: 28).

(3) التحرير والتنوير، (305/22).

فليست القضية موازنة مفاهيم بمفاهيم، وإنما علم وبيان وتأصيل، وفق كتاب الله العظيم وسنة نبيه الأمين وفهم السلف الصالحين، فهذا المعين الذي يكون به صفاء الحقائق ونقائها. وصدق الإمام ابن القيم رحمته إذ يقول:

العلم قال الله قال رسوله	قال الصحابة هم أولو العرفان
ما العلم نصبك للخلاف سفاهة	بين الرسول وبين رأي فلان
كلا ولا عزل النصوص وأنها	ليست تفيده حقائق الإيمان
إذ لا تفيدهم بقيتاً لا ولا	علمًا فقد عزلت عن الإيقان <sup>(1)</sup>

### المبحث الثاني: ملامح منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيله الآيات على الواقع

موضوع هذا المبحث يُعنى بعرض ملامح من منهجية الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيل الآيات في إصلاح واقعه المعاصر؛ ولعل من أهمها ما يأتي:

**الحدس المعرفي:** ومع أن الشيخ ابن عاشور رحمته عاش في عصر كثُر فيه الجمود الفكري إلا أنه كان ذا حساسية عالية لمحيطه؛ ومما يؤكد ذلك استطراده في مسألة الرق والعبودية؛ فبالرغم من قدمها وانجلاء آثارها إلا أنه كان له نظرة بعيدة، فقد انتشرت آراء المعارضين وتعالق أصوات المغرضين وتكاثرت كتابات الأقسام المتعالمين وشيخنا قد ووري التراب عقوداً في قبره، وفي هذا يقول: "وقد رأيت لزماً أن أنطرق إلى الخوض فيه وإن كان الرق في عصرنا هذا قد تضاءلت آثاره وبطلت أسبابه؛ لأنني رأيت في تطرق البحث إليه ما يدفع مطاعن بعض الطاعنين في التشريع الإسلامي"<sup>(2)</sup>.

النظر إلى المصالح والإعراض عن العوائق: لا يعرض الإنسان عن المصلحة المحققة

لأجل المفسدة المحتملة، ومن أمثلة ما يؤكد على هذا المنهج استنباطاته من قوله تعالى: ﴿ **وَسَأَلْنَاكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَاطَبُوا بِهِمْ فَلِأَخْوَانِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ سَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝** [البقرة: 220]. حيث قال: "وفي هذه إشارة إلى أنه ليس من المصلحة أن يعرض الناس عن النظر في أموال اليتامى اتقاءً لألسنة السوء، وتهمة الظن بالإثم، فلو تمالأ الناس على ذلك وقاية لأعراضهم لضاعت اليتامى، وليس هذا من شأن المسلمين؛ فإن على الصلاح والفساد دلائل ووراء المتصرفين عدالة القضاة وولاة الأمور يجازون المصلح بالثناء والحمد العلن ويجازون المفسد بالبعد بينه وبين اليتامى وبالتعزيم بما أفاته بدون نظر"<sup>(3)</sup>. وهذا الأمر ذو أهمية بالغة اليوم خاصة مع انتشار وسائل التواصل

(1) القصيدة النونية، لابن القيم، (ص: 226).

(2) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 93).

(3) التحرير والتنوير، (358/2).

الاجتماعي، وذلك من الجانبين من ناحية الإطراء من المجتمع؛ فهذا يدفع المحسن إلى أن يستزيد والمسيء يحجم ويتعظ. وهذا التنويه يفيد كذلك فيما انتشر اليوم من أن الإنسان قد يفوت على نفسه الكثير من الخير والمنفعة لأجل ما قد يظنه من التبعات التي ربما لا تكون إلا في ذهنه، ومن خشي صعود الجبال قضى عمره بين الحفر.

**العبرة بالحق لا بكثرة مخالفته:** الشيخ ابن عاشور رحمته يبحث عن إثبات الحق وتقديمه ودحض منكريه والتحذير من زخرفه، ومن ذلك ما أشار إليه في ردة بعض العرب بعد وفاة النبي ﷺ: "كان سبب الردة أن كثيراً من العرب الذين أسلموا بعد فتح مكة كانوا حديثي عهد بالإسلام، ولم يتمكن الإيمان من قلوبهم ولم يفقهوا حقيقته، فظنوه طاعة لشخص الرسول، وأنه لما توفي فقد انحلت ريقة الإيمان عنهم. ومثل هؤلاء وإن كثروا فلا تعجبك كثرتهم لجفائهم وجهلهم؛ ولذلك لما فهموا من تصدي المسلمين لقتالهم أن أمر الدين ليس باللعب كانوا سريعي الرجوع إلى الدين في أمد وجيز"<sup>(1)</sup>. فأشار إلى أن العبرة بالحق لا بالكثرة أو ما قد يسمى بوهم الأكثرية، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ** يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَكْفُرُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: 116]، يفسر ذلك حديث النبي ﷺ: «لَا تَكُونُوا إِمْعَةً، تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنًا، وَإِنْ أَسَاؤُوا أَسَاءْنَا، وَلَكِنْ وَطَنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنُوا أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاؤُوا أَلَّا تَظْلِمُوا»<sup>(2)</sup>، ومعنى ذلك أن لا تكون الكثرة لها تأثير في التصحيح والتخطئة، وإنما على المؤمن أن يبحث عن الحق فيتبعه ولا تغره الكثرة فيكون إمعة<sup>(3)</sup>!

**التفريق بين القول وقائله:** فالشيخ ابن عاشور رحمته برع في هذه المنهجية؛ حيث استدل بأقوال من خالفهم ووظفها وفق ما يراه بغض النظر عن منهجهم؛ وهذا لا شك منهجية مهمة في الاستفادة من تراث الآخرين؛ ومن هنا فإن قائل الحق نأخذ منه ونتقبله لكونه حقاً بغض النظر عن تمسك قائله به أو انفلاته منه، وإن كان ذلك -أعني: العامل بالحق القائل به- أقرب للتأثير والقبول، فأشقى الخلق قد قبل منه الحق، كما في قصة أبي هريرة رضي مع الشيطان<sup>(4)</sup>.

**توظيف الأمور واستغلالها:** من عبقرية الشيخ ابن عاشور رحمته أنه لا يترك نفسه مع

(1) نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، (ص: 27).

(2) أخرجه الترمذي في سننه، ح (2007)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، (364/4).

ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ح (6271)، (ص: 905).

(3) ينظر: الوجيز، للخلف، (ص: 50).

(4) أخرجه البخاري في الصحيح، ح (2311)، كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلاً فترك الوكيل شيئاً فأجازه

الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز، (101/3).

الأمر سهلًا لا يعرف منها حقًا أو باطلًا. وإنما ينظر في الأمر كيف يستفيد منه وأين يضعه وفي أي منحى يوجهه، وقد تجلّى ذلك في تفسيره مستنبطًا هذا الهدي من قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: 196]، أن "المقصود من هذا تحصيل بعض مصالح الحج بقدر الإمكان، فإذا فاتت المناسك لا يفوت ما ينفع فقراء مكة ومن حولها"<sup>(1)</sup>. وهذه ديدن الناجحين والناجحين؛ فإنه لو سرت بفكرك في نوايغ التاريخ لوجدت هذه الصفة من أبرز سمات حياتهم وأشهرها.

استنتاج المناسبات من دقائق الآيات: عادة ما يربط النبي المتيقظ بين الأمور ومناسباتها فيستنقج العلائق بين النصوص وسبيل أهل العلم في مروياتهم وطرق أدائها، ومن لطيف ذلك عند الشيخ ابن عاشور رحمته ربطه بين قول الله تعالى في ختام سورة النساء ﴿يُنِيتُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: 176]، وطريقة علمائه في دروسهم فقال: "في هذه الآية إيدان بختم الكلام... فتؤذن بختام السورة، وتؤذن بختام التنزيل إن صح أنها آخر آية نزلت كما ذلك في بعض الروايات، وإذا صح ذلك فلا أرى اصطلاح علماء بلدنا على أن يختموا تقرير دروسهم بقولهم: "والله أعلم" إلا تيمناً بمحاكاة ختم التنزيل"<sup>(2)</sup>.

سد الثغرات التخصصية: من عظيم تنوع مواطن الامتلاء المعرفي للشيخ ابن عاشور رحمته تنبّه إلى الثغرات ومواطن النقص والالتباس، من ذلك التفاته إلى نقض شبه المستشرقين والملحدّين متعجبًا من غفلة بعض المفسرين عن نقاشها، فعند بيانه قول الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ [يس: 69] قال معقبًا: "اقتضت الآية نفي أن يكون القرآن شعرًا، وهذا الاقتضاء قد أثار مطاعن للملحدّين"<sup>(3)</sup>، والحق أن "تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر من قبيل حياطة معجزة القرآن وحياطة مقام الرسالة مثل تنزيهه عن معرفة الكتابة"<sup>(4)</sup>؛ ولهذا يصرح الشيخ ابن عاشور رحمته بتيقظه لذلك بقوله: "ولم أر لأحد من المفسرين والخائضين في وجوه إعجاز القرآن التصدي لاقتلاع هذه الشبهة، وقد مضت عليها من الزمان برهة، وكنت غير مقتنع بتلك الردود ولا أرضاها، وأراها غير بالغة من غاية خيل الحلبة منهاها"<sup>(5)</sup>، ثم شرع في بيانها وردّها مكملًا ومفندًا. فالشيخ ابن عاشور رحمته ينطلق من واقعه يتلمس حاجات أمته، وهذا الحس الشعوري الذي يتميز به

(1) التحرير والتنوير، (224/2).

(2) المرجع السابق، (68/6).

(3) التحرير والتنوير، (58/23).

(4) المرجع السابق، (64/23).

(5) المرجع السابق، (61/23).

يبين استراتيجيته مع واقعه حين يحسن اختيار الموضوعات التي ينشغل بها ويختار الثغرات التي يسدها فيقدم إثراء لأتمته.

**الإطلاع الهادف الممنهج:** وعلى الرغم من موسوعية الشيخ ابن عاشور رحمته وكثرة اطلاعه إلا أنه واضح الرؤية دقيق الهدف لا يرمي بنفسه في كل واد ليسيره وفق ما يشاء، وإنما هو من يسير به يأخذ نفعه ويعرض عن سقيمه، ومما يدل على ذلك ما ذكره في مقدمة كتابه "أصول النظام الاجتماعي"، حيث أرشد الشيخ ابن عاشور رحمته إلى ضرورة تقليب صفحات تاريخ المسلمين المجيد من أجل الإسهام في ارتقاء الفرد والمجتمع معرضاً عن كبواتهم وترهاتهم، فنأخذ الصحيح وننجه وندع السقيم منها ونتبذه، وفي هذا يقول: "إن الباحث عن علاقة دين بالمدينة وتأثيره في ارتقاء الأمة لا محيص له من النظر في تاريخ الأمة المتلقية للدين وميزان الحال التي كانت عليها في زمن ظهوره. وإن إلقاء نظرة واسعة لهيئة مجتمع الأمة المتدينة بالإسلام في أزهر عصور أتباعها لتعاليمه لكاف للمتأمل الأملعي في تصور معظم مبادئ ذلك الدين، وبهذا كان المتطلع على ملاك محاسن هذا الدين مفتقراً إلى مطالعة تاريخ المسلمين في زمن النبوة وزمن الخلفاء الراشدين فمن يليهم، لم أرد بذلك مطالعة الحوادث السياسية والانتقالات الدولية، فإن ذلك لا يبلغ بالمتأمل مبلغه المقصود إلا بعناء شديد، وتصيد مختلف صور الحوادث التي تجديه في غرضه يتصيداها من بين تطويلات معظمها لا يجديه، بل عنيت ما يقرؤه في تضاعيف ذلك في حالة المسلمين في مجتمعهم"<sup>(1)</sup>. هذا ما ينبغي أن تكون عليه منهجية المثقف الواعي والمصلح الحصيف، يدع ما فيه بأس إلى ما ليس فيه، يقدم على ما هو بصده مستصحباً القصد فيه؛ ذلك أن العشوائية والفوضوية في التناول قد تحيد بصاحبها عن الهدف الأصيل، بل قد تعرضه أحياناً إلى الحياء عن الطريق، نعوذ بالله من الحور بعد الكور وسوء المسعى والمنقلب.

**ترتيب الأولويات:** من منهج الشيخ ابن عاشور رحمته ترتيب الأولويات والبدء بالأهم فالمهم، مثاله ما بينه في منهجية كتابه "أصول النظام الاجتماعي في الإسلام" حيث ابتدأ بالفرد قبل المجتمع وبإصلاح اعتقاده قبل عمله<sup>(2)</sup>؛ فهو بذلك حرص على بيان ما حقه التقديم فيتصدر وما هو متأخر فيبني على المتقدم. من ذلك تمييزه بين مرتبتي الوسيلة والمقصد في مبحث المعاملات في توجه الأحكام التشريعية، حيث قال في مفتحه: "هذا الباب هو المدخل لتمييز الأحكام الشرعية المنوطة بتصرفات الأمة ومعاملاتها؛ ليعرف ما هو منها في رتبة المقصد، فهو في المرتبة الأولى في محافظة الشرع على إثباته وقوعاً ورفعاً، وما هو في رتبة الوسيلة فهو في المرتبة الثانية تابع لحالة غيره. وهو مبحث مهم لم يف المتقدمون بما

(1) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 5).

(2) ينظر: أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 41-97).

يستحقه من التفصيل والتدقيق"<sup>(1)</sup>. وهذه العقلية التراتبية لا شك تعد سبباً من أسباب تفوقه ونبوغه؛ فإنّ المتمعن في حياة النابهين يجد لهذا الأسلوب القدر المعلى والمنهج الأبرز، وإن من الدراسات النفسية والاجتماعية اليوم لتركز على ضرورة مراعاة هذا الجانب في الحياة، وقد ألفت لأجله الكثير من المؤلفات التي تدعو إليه تنظيراً وتطبيقاً أو ضمناً وتعريضاً من خلال عرض سير القادة والناجحين.

**التسامي عن الجدل الذي لا طائل منه:** ذلك أن العاقل الحكيم لا يبدد جهده سدى، ولا يخوض مع من ليس فهم رجاء، من بعد ما تبين لهم الهدى، من ذلك حين عرّج ﷺ على من اعترض على ضرورة إقامة الإمامة فقال: "أجمع أصحاب رسول الله بعد وفاة النبي ﷺ على إقامة الخليفة لحفظ نظام الأمة وتنفيذ الشريعة، ولم ينزع في ذلك أحد من الخاصة ولا من العامة إلا الذين ارتدوا على أديبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى، من جفاة الأعراب ودعاة الفتنة، فالمنظرة مع أمثالهم سدى"<sup>(2)</sup>. فقرر ويّين ثم شنّع وأنكر على من بدل وغير، وهذا الأسلوب جد نافع وقويم، وقد جاء في السيرة النبوية ما هو قريب من ذلك. ولو فطن أهل الصلاح لذلك لألجموا أهل الزيغ والضلال بلجام أشد عليهم من الرمضاء في الهجير، ولوفروا عليهم أعماراً تلو الأعمار من الجهد والوقت الطويل وسخروه فيما نفعه أعظم وأجل، خاصة وأن من أهل الأهواء من يتقصّد ذلك من أجل تبديد الجهود وتشتيت العقول عن ما فيه نفعها، ولكن الله تعالى يمهل ولا يهمل.

**توظيف النظريات الحديثة:** من منهج الشيخ ابن عاشور ﷺ استخدام مختلف العلوم في خدمة رأيه وما يؤول إليه وما بظنه أنه يبين الأمر ويجليه؛ لذا فإنه قد يستعين بالنظريات الحديثة، من أمثلة ذلك استخدامه لنظرية غاليليو الإيطالي وذلك عند بيانه قول الله تعالى: ﴿ وَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَانِدَةً وَهِيَ كَمَثَرِ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا فَعَلُونَ ﴾ [النمل: 88]، حيث قال: "اهتدى بعض علماء اليونان إلى أن الأرض هي التي تدور حول الشمس في كل يوم وليلة دورة تتكون منها ظلمة نصف الكرة الأرضي تقريباً وضياء النصف الآخر وذلك ما يعبر عنه بالليل والنهار، ولكنها كانت نظرية مرموقة بالنقد... وما تحققت هذه النظرية إلا في القرن السابع عشر بواسطة الرياضي (غاليلي) الإيطالي. والقرآن يدمج في ضمن دلائله الجمّة وعقب دليل تكوين النور والظلمة دليلاً رمز إليه رمزاً، فلم يتناوله المفسرون أو تسمع لهم ركزاً... والخطاب للنبي ﷺ تعليمًا له لمعنى يدرك هو كنهه؛ ولذلك خص الخطاب به ولم يعمم كما عمم قوله: ﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا آلِيلَ لِسَانِكُمْ فِيهِ ﴾ [النمل: 86] في هذا الخطاب، وادخارًا لعلماء أمتة الذين يأتون في وقت ظهور هذه الحقيقة

(1) مقاصد الشريعة الإسلامية، (ص: 161).

(2) التحرير والتنوير، (399/1).

الدقيقة<sup>(1)</sup>. ومن هنا ينبغي التنبيه إلى ضيق هذه المنهجية بأن تكون معضدة بدلائل الشرع والعقل والحس أو ما يصح أن يسمى حقيقة علمية. لهذا فإني أهيب بالباحثين أن يتحرزوا من مزاحمة الأدلة الشرعية ببعض النظريات التي لم تثبت حقيقتها حتى لا يؤتى دين الله من قبلهم فيكون دليلهم حجة عليهم لا لهم؛ فإن شرع الله أعظم من أن يعضد بتطلعات بشرية وإن أبهرهم بريقها وعلو أصدائها.

**التنبيه إلى الجوامع والكليات:** تزخر مؤلفات الشيخ ابن عاشور رحمته بالربط بين الأمور ودلالاتها بجوامع كلية تجمع بين جنباتها علومًا وارفة تستوعب زمانه وما حل فيه من قضايا وأحداث ولو تتبعها الباحث لاستخرج مصنفات تترى تجمع بين نقله ومقاله واستنباطه، من ذلك ما ذكره في أجمع آيات للأخلاق وهي قول الله تعالى: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: 199]، فقال: "قد جمعت هذه الآية مكارم الأخلاق؛ لأن فضائل الأخلاق لا تعدو أن تكون عفواً عن اعتداء فتدخل في (خذ العفو)، أو إغضاء عما لا يلائم فتدخل في (وأمر بالعرف)،... وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، وهي صالحة لأن يبين بعضها بعضاً، فإن الأمر بأخذ العفو يتقيد بوجوب الأمر بالعرف، وذلك في كل ما لا يقبل العفو والمسامحة من الحقوق، وكذلك الأمر بالعرف يتقيد بأخذ العفو وذلك بأن يدعو الناس إلى الخير بلين ورفق"<sup>(2)</sup>.

**التكرار لأجل الإقرار:** الشيخ ابن عاشور رحمته قد يكرر المعنى الذي يريد تأكيده في مواطن مختلفة وبأساليب متفرقة ليؤكد ضرورته وليبين أهميته وعظيم أثره، من ذلك تكرار تعريفه لفظة الإصلاح، ذلك لعظيم اهتمامه بالإصلاح فهو يعيد التعريف به كل ما ذكر وكما قيل: "من أحب شيئاً أكثر من ذكره"<sup>(3)</sup>، وذلك على عكس ما اعتاد عليه في معظم الألفاظ حيث يحيلها إلى أول ورود لها<sup>(4)</sup>، ولعله استفاد من اهتمام الشريعة الإسلامية لامثال أمر الله تعالى ونبيه عليه السلام، حيث بين ذلك عند تفسير قول الله تعالى: ﴿ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَتَذَكَّرُونَ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ الْغَالِبِينَ ﴾ [البقرة: 47]، فقال: "أعيد خطاب بني إسرائيل بطريق النداء مماثلاً لما وقع في خطابهم الأول؛ لقصد التكرير للاهتمام بهذا الخطاب، وما يترتب عليه؛ فإن الخطاب الأول قُصِدَ منه تذكيرهم بنعم الله تعالى ليكون ذلك التذكير داعية لامثال ما يردُّ إليهم من الله من أمر، ونهي على لسان نبيه عليه السلام"<sup>(5)</sup>.

(1) التحرير والتنوير، (20/49-50).

(2) المرجع السابق، (9/229).

(3) المرجع السابق، (12/260).

(4) ينظر: المرجع السابق، (2/154)، (2/303)، (2/355-356).

(5) التحرير والتنوير، (1/482).

براعة الاستشهاد وحسنه: إذ يختار الشخص المناسب في بيان المقام المناسب، حيث يستشهد بالأنموذج الأعلى والقدح المعلى في معظم استدلالاته، ولهذا فإن سيرة النبي ﷺ أكثر ما يتخلل مباحثه وأراءه، يقول الشيخ ابن عاشور رحمته في بيان قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَكَلِمٌ حُلِينٌ عَظِيمٌ ﴾ [القلم: 4]: "أنك إذا عرضت أية آية من أي القرآن الواردة في خلق حسن وعمل صالح وتأملت من سيرة رسول الله في الناحية الوارد فيها القرآن، وجدت سيرة رسول الله مطابقة لما تضمنه القرآن؛ فالقرآن إذن هو جامع مكارم الأخلاق، والرسول هو مظهر تلك المكارم"<sup>(1)</sup>. وكأنه يريد أن يصل بالقارئ إلى الانتساء تنظيراً وتطبيقاً، فيقترب من الكمال بذلك ويدنو منه، وهذا منهج تربوي قويم حينما يصل بالملتقين إلى الحرص على الاقتداء به وبسيرته رحمته.

النظرة التفاؤلية: مع ما عليه وضع الشعوب الإسلامية من الوهن والدعة لم يصده ذلك من تلمس بصيص الأمل، وهو ما يستشف من ثنايا قوله رحمته: "ولقد يرى الناظر من مشاهدة عموم أحوال المسلمين على ما هم عليه اليوم من الزهادة في جم من محامد دينهم أو تأويلها على ما يفيت بعض المقصود منها، منظرًا لا يعدم إرشاده إلى حالة محمودة يوقن بأنها أثر لهم من تمكن تأثير وصايا دينهم كما شهد لهم بذلك منصفون من غير المسلمين الذين درسوه حق دراسته بإنصاف"<sup>(2)</sup>. ولهذا اليقين العميق ذأب على إيقاظ الهمم ما استطاع إلى ذلك سبباً.

هندسة المشاعر: فعلى الرغم من واقعية الشيخ ابن عاشور رحمته إلا أنه يظهر بين طيات طرحه لمسات حانية وانتقادات بديعة، لحديث مرهف وكلام معسول، حقيق أن يوضع في مؤلف يظهر منه الجانب الشعاري للشيخ ابن عاشور رحمته، فمن ذلك سوقه بيت قصيد لصديق محبوب، يعبر عن فحوى ما يريد أن يقول، في خضم حديثه عن معجزة نبي الله سليمان عليه السلام في تعليمه منطق الطير، حيث قال: "الله تعالى أطلع سليمان بوجي على مختلف التقاطيع الصوتية التي في صفير الطير وأعلمه بأحوال نفوس الطير عندما تصفر بتلك التقاطيع، وقد كان الناس في حيرة من ذلك كما... قال صاحبنا الشاعر البليغ الشيخ عبد العزيز المسعودي من أبيات في هذا المعنى:

فمن كان مسرورًا يراه تغنيًا      ومن كان محزونًا يقول ينوح"<sup>(3)</sup>

حيث ذكر أنه صاحبه وبين كذلك مناقبه وساق بيتاً تفيض منه مشاعره؛ إذ يصف ما احتير فيه من شعور في الطير وسامعه. وهكذا كثيرًا ما يضمن شاعريته بين آرائه وإن كان

(1) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 119).

(2) المرجع السابق، (ص: 5).

(3) التحرير والتنوير، (237/19).

نقاشاً علمياً مشحوناً.

استيعابه صنوف المخاطبين: يجد المتأمل في تراث ابن عاشور رحمته مراعاته لصنوف المخاطبين أثناء الشرح أو التبيين، فقد يخاطب العاطفة مكثراً من الأشعار عميقة التأثير، وقد يأتي بمعاني تلهب العقل الفطين، وقد يجمع بين الحسنيين، وقد لحظ هو نفسه ذلك من خلال تدبره لآيات القرآن الكريم فقال عند بيانه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الذِّبْنَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الذِّبْنَ أَوْثُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَدِ مَا جَاءَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْمُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: 19]، فذكر أن هذا الدين يتميز بمظاهر عدة من بينها: "اختصاصه بإقامة الحجّة، ومجادلة المخاطبين بصنوف المجادلات وتعليل أحكامه، بالترغيب وبالترهيب، وذلك رعي لمراتب نفوس المخاطبين، فمفهم العالم الحكيم الذي لا يقتنع إلا بالحجّة والدليل، ومفهم المكابر الذي لا يرعوي إلا بالجدل والخطابة، ومفهم المترهب الذي اعتاد الرغبة فيما عند الله، ومفهم المكابر المعاند، الذي لا يقلعه عن شغبه إلا القوارع والزواجر"<sup>(1)</sup>.

استشراف المستقبل: يتميز منهج الشيخ ابن عاشور رحمته بصياغة الأحداث بصورة متسلسلة متعاقبة تبين أثر الماضي في الحاضر، مستصحباً في ذلك سنن الله في كونه، وهذه الميزة بدت عليه منذ أول بزوغه في كتابه "أليس الصبح بقريب"، وكما يقال: إذا قام العالم يقوم العالم. ومن ذلك ما ذكره من تعجب لحال أرباب بعض الفرق مع أقوال أساطين مذهبهم متنبئاً بعد ذلك بتمحيصها من بني جلدتهم حيث قال: "ولا عجب أعجب من مرور الأزمان على مثل قولة الخوارج والإباضية والمعتزلة ولا ينبري من حذاق علمائهم من يهذب المراد أو يؤول قول قدمائه ذلك التأويل المعتاد، وكأنني بوميض فطنة نهبائهم أخذ يلوح من خلل الرماد"<sup>(2)</sup>.

وهكذا يظهر طرف من ملامح الشيخ ابن عاشور رحمته المنهجية ولا عجب أن يبلغ هذا الشأن بعد فضل الله تعالى وتوفيقه وهو القائل رحمته: "إن مزية العلم، وشرف الانتساب إليه، أمرٌ بلغ من اليقين والضرورة مبلغاً يقصر عنه البيان، وينتقص قدره محاولة إقامة البرهان، بعد أن توجه الله تعالى بكتابه الكريم، وهو الذي علّم من لم يكن يعلم، وزكّي رسوله بأنه على خلق عظيم، وصراط مستقيم فقال: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: 114]، قولاً جعل طلب العلم، والحرص عليه، والاستزادة منه أعظم مطلوب لأشرف موجود"<sup>(3)</sup>، وهذا إن دل فإنما يدل على ذكاء الشيخ وزكائه معاً؛ فمن طهرت نفسه وكان زكياً، قوي عقله وصار ذكياً. فحقيق بطلبة العلم الاعتداد بسيرته، مخلصين النية لله وحده، فالعلم لا

(1) التحرير والتنوير، (195/3).

(2) المرجع السابق، (274/1).

(3) شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، ليلخوجة، (ص: 172).

يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وهذا يبقى أترك لمن خلفك بإذن الله تعالى.

### المبحث الثالث: وقفات من تنزيل الآيات على الواقع عند الشيخ ابن عاشور رحمته

من لطيف البيان والعرض، تقريب المعنى بما يحيط الشخص، من الأحداث والمواقف الملامسة له، وقد كان ذلك مشاهدًا في طرح الشيخ ابن عاشور رحمته؛ ولعل مما يستبين منه ذلك الجوانب الآتية:

فمن الجانب الشخصي: نراه يستأنس بمجاله العملي عند بيانه اصطناع أخوة يوسف البكاء لأجله عند عودتهم إلى أبيهم في قول الله تعالى: ﴿ وَجَاءَ وَآبَاهُمْ عِشَاءَ يَبْكُونَ ﴾ [يوسف: 16]، حيث قال: "بعض المتظلمين بالباطل يفعلون ذلك، وفطنة الحاكم لا تتخدع لمثل هذه الحيل ولا تنوط بها حكمًا، وإنما يناط الحكم بالبيينة... ومن الأمثال "دموع الفاجر بيديه" وهذه عبرة في هذه العبرة"<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك ما ذكره عند تفسيره قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ عَرِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَآلِهَةٌ أَوْلَىٰ بِمَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: 135]، مستشهدًا بمحيطه العملي فقال: "وقد عرفت قاضيًا لا مطعن في ثقته وتزهره، ولكنه كان مبتلى باعتقاد أن مظنة القدرة والسلطان ليسوا إلا ظلمة: من أغنياء أوجال، فكان يعتبر هذين الصنفين محقوقين فلا يستوفي التأمل من حججهما"<sup>(2)</sup>، مؤكدًا ضرورة النظر في معطيات قضيته ولا يصرفه حال صاحبه عن استيفائها؛ فإن الذي يراعي حال الغني والفقير ويقدر إصلاح حال الفريقين هو الله تعالى.

ومن الجانب التربوي: عرف الشيخ ابن عاشور رحمته بحرصه وعظيم عنايته بإصلاح من حوله، فلا يكاد يغادر سبيلًا إلى الإرشاد إلا واغتنمه، فيستنتج الآراء الحكيمة من الدلالات البعيدة ويقدمها تقديم المرابي الواعي الحريص على ذويه ومجمعه، ومن ذلك إشارته إلى مسلك تربوي عظيم حين بيانه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 22]، "وقوله: (وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) جملة حالية... قد جعلت هاته الحال محط النبي والنفي تمليحًا في الكلام للجمع بين التوبيخ وإثارة الهمة؛ فإنه أثبت لهم علمًا ورجاحة الرأي ليثير همهم ويلفت بصائرهم إلى دلائل الوجدانية، ونهاهم عن اتخاذ الآلهة أو نفى ذلك مع تلبسهم به وجعله لا يجتمع مع العلم توبيخًا لهم على ما أهملوا من مواهب عقولهم وأضاعوا من سلامة مداركهم. وهذا منزع تهذيبي عظيم، أن يعمد المرابي فيجمع لمن يريه بين

(1) التحرير والتنوير، (236/12).

(2) المرجع السابق، (227/5).

ما يدل على بقية كمال فيه حتى لا يقتل همته باليأس من كماله؛ فإنه إذا ساءت ظنونه في نفسه خارت عزيمته وذهبت مواهبه، ويأتي بما يدل على نقائص فيه ليطلب الكمال فلا يستريح من الكد في طلب العلا والكمال<sup>(1)</sup>.

ومن ذلك ما ذكره من توجيهه عند بيان قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَوَعَدَ اللَّهُ مَكَارِمَ كَثِيرَةً كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ بَكَرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّكَ اللَّهُ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: 94]، فقال: "كذلك كنتم من قبل: أي كنتم كفارًا فدخلتم الإسلام بكلمة الإسلام، فلو أن أحدًا أبى أن يصدقكم في إسلامكم أكان يرضيكم ذلك. وهذه تربية عظيمة، وهي أن يستشعر الإنسان عند مؤاخذته غيره أحوالًا كان هو عليها تساوي أحوال من يؤاخذه، كمؤاخذا المعلم التلميذ بسوء إذا لم يقصر في إعمال جهده. وكذلك هي عظيمة لمن يمتحنون طلبة العلم فيعتادون التشديد عليهم وتطلب عثراتهم، وكذلك ولاية الأمور وكبار الموظفين في معاملة من لنظرهم من صغار الموظفين، وكذلك الآباء مع أبنائهم إذا بلغت بهم الحماقة أن ينتهروهم على اللعب المعتاد أو على الضجر من الآلام"<sup>(2)</sup>.

ومن الجانب العقدي: إقراره أنّ البشر مفضوون على التوحيد والإقرار بدين الإسلام، كما أنبأ الله تعالى بذلك فقال: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30]، يقول ابن عاشور رحمته: "الأصول الفطرية هي التي خلق الله عليها الإنسان المخلوق لعمران العالم، وهي إذن الصالحة لانتظام هذا العالم على أكمل وجه، وهي إذن ما يحتوي علمه الإسلام الذي أراده الله لإصلاح العالم بعد اختلاله"<sup>(3)</sup>. وكأنه بذلك يؤكد مسؤولية الإنسان عن أفعاله وتصرفاته، وأن لا يلقي باللوم على غير نفسه؛ فالله تعالى هيأه لنيل أفضل الكرامات في الدنيا والآخرة، وبين له الطريق على أيدي الرسل والرسالات، ووضع له بعد ذلك الحرية في اختيار ما شاء ابتلاء له واختبارًا. ليتضح من ذلك أن الانطلاق من الفطرة يعد مجالاً خصبًا في دعوة البشر إلى الدين الحنيف وركيزة أساس ترشد نفوسهم إلى الهدى وتوقظها بعد سباتها.

ومن ذلك تشنعيه على من أخطأ في التوكل فظنه توكل؛ حيث بين أنه عقيدة جاهلية جاء في السنة الصحيحة بتبينها فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألو الناس، فأنزل الله تعالى: ﴿

(1) المرجع السابق، (335/1).

(2) التحرير والتنوير، (168/5).

(3) مقاصد الشريعة الإسلامية، (ص: 62-63).





ذلك من نواقض الفطرة البشرية وظلم لحقائق الأشياء بقلبيها وإفسادها، وكما يؤكد ذلك بقوله ﷺ: "يدخل في معنى تغيير خلق الله وضع المخلوقات في غير ما خلقها الله له"<sup>(1)</sup>: فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: 36].

ومن الجانب النفساني: إن الناظر في مؤلفات الشيخ ابن عاشور ﷺ يجد شعوره ينساب رقرقاً في وجدان قارئه، فينعكس تأثيره عليه من كونه برهاناً على صدق اهتمامه بتقدم أمتة ورقمها، ليتضح في غضونه تلاقح المعرفة بالوجدان لإصلاح واقعه، وقوده القلب الذي تحرك بوفقه اللسان والأركان، يبينه ما أشار إليه حين تفسيره قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا فَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ فِيمَا وَفَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: 103]، إذ يقول: "الظاهر من قوله: (فإذا فضيت الصلاة) أن المراد من الذكر هنا النوافل، أو ذكر اللسان كالتسبيح والتحميد ...، فرخص لهم حين الخوف أن يذكروا الله على كل حال، والمراد القيام والقعود والكون على الجنوب ما كان من ذلك في أحوال الحرب لا لأجل الاستراحة"<sup>(2)</sup>؛ ليبين أن شرائع الله تؤخذ بالعزيمة ولا توكل النفس إلى الدعة والراحة، "وهذا من أفانين الخطابة أن يغتنم الواعظ الفرصة لإلقاء الموعظة، وهي فرصة تأثر السامع، وانفعاله، وظهور شواهد صدق الواعظ في موعظته"<sup>(3)</sup>. فالشيخ ابن عاشور ﷺ في قوة عباراته حتى وكأنه يلهم قراءه تجسيدها، ليحث على السبق في بلوغهم القمم، وهذا أسلوب المثقف الواعي الذي يستثير حفيظة نفوس قرائه فيعزز مكانتهم للوصول بهم إلى ما ينفعهم. ولعل هذه المنهجية استقاها من عظيم تمنعه كلام الله تعالى، ليتبين أسلوبه ﷺ في إيقاظ جذوة النفوس للمعالي والجدة في طلبها.

ومن ذلك استدلاله بقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ إِنَّا خَلَقْتُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعْرًا وَبِأَيْدٍ يَعَارَفُونَ إِنَّكُمْ عِنْدَ اللَّهِ لَأَنْتُمْ إِنِ اللَّهُ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13] في تقرير قيمة المساواة فقال: "الخبر في قوله: (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) مستعمل كناية عن المساواة في أصل النوع الإنساني ليتوصل من ذلك إلى إرادة اكتساب الفضائل والمزايا التي ترفع بعض الناس على بعض"<sup>(4)</sup>. ذاكراً ﷺ أنها حق مشاع بين أبناء الإسلام يجب على حكوماتهم رعايته وكفله لرعيته، مقررًا "إن انقسام الأمة إلى طبقات أمر واقعي ناشئ عن أسباب من مواهب عقلية، أو مغامرة في الأخطار، أو انتصار في الدفاع عن الحوزة، فلا نعني بالمساواة بين الطبقات

(1) التحرير والتنوير، (205/5).

(2) التحرير والتنوير، (188/5).

(3) المرجع السابق، (49/13).

(4) التحرير والتنوير، (261/26).

مكابرة ذلك الأمر الواقع، وإنما نعني أن لا يكون موجباً لاحتكار خصائص يحرم منها من لم يكن من تلك الطبقة<sup>(1)</sup>. ليظهر من ذلك إلمامه بالواقع ودعوته لتحكيم الشرع عليه دون تسطيح الصورة أو تزيفها وإنما بالإحاطة لمختلف جوانبها ومن ثم تكييفها.

ومن الجانب الاقتصادي: يرى الشيخ ابن عاشور<sup>رحمته</sup> أن الاقتصاد أصل انتظام أمر المجتمع إذ به تأسيس مال للأمة التي به قوام أمرها، ولهذا يستدل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَرِزْقُهُمْ فِيهَا وَكَسْوَهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّرُوفًا﴾ [النساء: 5]، في بيان معنى "المال" بآثره لا بنوعه فيقول: "كل ما به غنى صاحبه في تحصيل ما ينفع لإقامة شؤون الحياة"<sup>(2)</sup>. ويفسرها بقوله: "والأموال جمع مال، وهو ما بقدره يكون قدر إقامة نظام معاش أفراد الناس ... بحسب مبلغ حضارتهم حاصلاً بكدح"<sup>(3)</sup>. مؤكداً أن "أهم ما يقتضيه النظر في نظام أموال الأمة أن يتوجه النظر إلى وسائل توفير المال وحفظه بالاقتصاد؛ لتكون الأمة في غنى عن طلب الإسعاف من غيرها عند حاجتها؛ لأن الحاجة ضرب من العبودية"<sup>(4)</sup>.

ولهذا تراه نازلاً إلى الميدان مستنبطاً من وحيه تعالى أصل هذا العلم حيث يقول: "نأخذ قوله تعالى: ﴿كَفَى لَا يَكُنْ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ وَبَيْنَكُمْ﴾ [الحشر: 7] تفاصيل من علم الاقتصاد السياسي وتوزيع الثروة العامة، ونعلل بذلك مشروعية الزكاة والمواريث والمعاملات المركبة من رأس مال وعمل، على أن ذلك تومئ إليه الآية إيماء"<sup>(5)</sup>. وكأنه بذلك يقرب الاقتصاد من مجتمعه وهو ما بيينه قوله: "تحقيق الثروة غاية علم الاقتصاد"، إذ يبدو القول عظيمًا بعيد المنال موكولاً إدراكه إلى الرؤساء وأصحاب الأموال، ثقيلًا على المجتمع إدراكه فكيف بالأفراد، إلا أن ابن عاشور<sup>رحمته</sup> فككه تفكيكاً مبسطاً، بحيث يجعل كل فرد في المجتمع مستشعراً كونه عضواً فاعلاً في تحقيقه حيث قال: "إنما يحصل توفير مال الأمة بتوفير ما لكل فرد منها؛ فإن الأمة مجموع الأفراد. وهذا التوفير يسمى ثروة"<sup>(6)</sup>. وهنا يلفت<sup>رحمته</sup> لفتة عجيبة يظهر منها عمق رؤيته وبعدها مبيئاً أن التدوال مفتاح ثروة الأمة وغنائها ذلك "إن الحاصل منه في الأيدي إثراء وهمي؛ لأن الداخل في يد أحد الأفراد هو الذي خرج من يد آخر فالشيء المنتفع به شيء واحد، ولكنه يلوح شيء آخر باعتبار تغير موقعه، وقد يعود إلى اليد التي خرج منها أول مرة كما يقول الفقهاء: "الخارج من اليد وهو عائد إليها يعتبر كأن لم

(1) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 139).

(2) المرجع السابق، (ص: 186).

(3) التحرير والتنوير، (187/2).

(4) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 186).

(5) التحرير والتنوير، (43/1).

(6) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 187).

يخرج<sup>(1)</sup>، وعلم الاقتصاد يصرح "بأن الثروة عبارة عن الأشياء النافعة القابلة للتداول"<sup>(2)</sup>، وكذا فإن الشيخ ابن عاشور رحمته قد يأتي بكلام عميق ما يلبث أن تراه بين يديك ممتدًا نازلاً حاضرًا في ذهنك مفهومًا لديك.

ومن هنا هذه وقفات من منهجية الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيله الآيات لإصلاح واقعه المعاصر وكما يقول رحمته: "وهذا المقدار من العلم منه ما لا يتحول مع تحول الأزمنة والأحوال، وذلك علوم الشريعة ووسائل إقامتها على الوجه الأتم"<sup>(3)</sup>، ولعل مما يميز هذه المنهجية مجابتهما الادعاءات الغربية وافتراءاتهم المغرضة، إذ تعرض الحوادث الآنية في ضوء الحقائق الشرعية، لتكون منارة سنية للنفوس السوية رغم تقلب الأزمان والأقضية الحياتية؛ وبهذا يجتمع للمسلمين الحسنيين، فيكونون منارة دعوية؛ فينشأ فهم همة السعي إلى سيادة العالم كما سادته أسلافهم، فيتحول التغني بها والبقاء على أطلالها إلى السعي الدؤوب في استعادة أمجاد أمتهم وسيادة أتباعها.

### الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن اقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وبعد:

فبفضل من الله تعالى وإعانتة وتوفيقه، تمت كتابة هذا الموضوع "منهج الشيخ ابن عاشور رحمته في تنزيل الآيات في الواقع المعاصر"، الذي تناول بين طياته عناية الشيخ ابن عاشور رحمته بإصلاح واقعه الاجتماعي في ضوء نصوص الوحي الإلهي الذي لا تنتهي عجائبه ولا تنقضي ليمت بعد ذلك الخلوص إلى أهم النتائج وأبرز التوصيات التي يتأمل تحقيقها؛ وذلك كما يأتي:

أولاً: النتائج:

- واقعية الشيخ ابن عاشور رحمته في طرحه مع تركيزه على ما هو بصدد بيانه وإثباته.
- امتاز ابن عاشور رحمته بجزيل الخلال والسمات كان لها الدور الأبرز في فكره الوقاد وشخصه الآخاذ.
- تأثر الشيخ ابن عاشور رحمته ببيئته وحرصه على إصلاح واقعه ومحيطه.
- عناية الشيخ ابن عاشور رحمته بواقعه المحيط مصلحًا ومستشرقًا لأحداثه وفق سنن

(1) المرجع السابق، (ص: 189).

(2) جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور /، (ص: 931).

(3) أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، (ص: 87).

الله وتصريفاته في عبادته.

- للإمام ابن عاشور رحمته حس مرهف ووجدان جزيل. مخفي وراء أطروحاته العلمية ذات الأسلوب الموضوعي الرصين. يظهر ذلك: في مراسلاته ورتائاته وخطبه.

- مركزية العقل عند الشيخ ابن عاشور رحمته في جل أطروحاته وكتباته ولا أدل على ذلك من عنوان كتابه العظيم "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد".

- يمتاز الشيخ ابن عاشور رحمته باستثمار معطيات عصره وتوظيفها فيما هو بصدد بيانه وتقديره.

- يعد الشيخ ابن عاشور رحمته ذو حس عال بالمجتمع وما يحيط به من الأحداث متكيّفًا معه يدرس الداء ويصف الدواء وفق منهجية مطردة رغم تباين الأحوال وتجدد المتغيرات.

- اغتناء منهج الشيخ ابن عاشور رحمته بعدد من المزايا والسمات من أهمها: الجدة والابتكار مع الوسطية والتأصيل وقوة الاستشهاد وحسن المثال.

- دور التنشئة الأسرية في إذكاء النجاح والنبوغ بعد توفيق الله تعالى على كافة الأصعدة والمستويات.

- تراث الشيخ ابن عاشور رحمته ثورة في انتقاد الفكر وانبعاث العقل. حقّ أن يجرد صوابه من خطأه فيكون مقرر فكري عن جدارة.

- امتاز الشيخ ابن عاشور رحمته بالأصالة في تقريره الجوانب العقديّة عند العبد منبثًا فطريتها وضرورتها اللازمة في التكوين البشري وجدانًا وفكرًا وانتهاجًا.

- تتناول آراء الشيخ ابن عاشور رحمته الجوانب الاقتصادية بأساليب معاصرة تضاهي النظرة الحديثة فيها متقدمة عليهم من ناحية تأصيلها وحاكمية الشرع عليها.

- يرى الشيخ ابن عاشور رحمته أن إبراز سماحة الدين الإسلامي في المجتمع سبب رئيس في جلب قلوب غير المسلمين إلى الدين جماعات وفرادى.

- تنوع القضايا التي تناولها الشيخ ابن عاشور رحمته في إصلاح واقعه المعاصر فحيث دار الفكر يجد للشيخ ابن عاشور رحمته بصمة واضحة ناصعة سياسيًا واقتصاديًا ونفسيًا وعقديًا وتربويًا واجتماعيًا وشخصيًا.

ثانيًا: التوصيات:

- الاتجاه إلى الأبحاث العمودية بدلًا من الأفقية فهو يعطي نماء أكثر في التفكير وخصوصًا من إعادة والتكرير. كالتأصيل الثقافي عند الشيخ ابن عاشور رحمته دراسة تحليلية.

- أمكن استخلاص دراسة تُعنى بدور العلماء في التغيير الثقافي في الواقع المعاصر" ابن عاشور رحمته أنموذجاً" فحياته حافلة بالإصلاح والتوجيه علمياً وعملياً جديرٌ أن تدرس كمنهجية تطبيقية للمربين والمصلحين.
- أوصي بمزيد من الأبحاث المعنية بكشف كنوز الشيخ ابن عاشور رحمته من ذلك جهود الشيخ ابن عاشور في تقرير النظم الإسلامية؛ أو النظم الإسلامية عند الشيخ ابن عاشور رحمته: جمع ودراسة.
- أوصي بدراسة ميادين التفكير عند الشيخ ابن عاشور رحمته ذلك إنه كانت محور قضاياها التي تستشف من بين أسطر كتاباته وأصداء خطبه وندواته.
- الاستفادة من العقليات الفذة ومواطن نبوغها؛ ودراسة أسباب هذا النبوغ والعوامل المؤثرة فيه وكيفية الاستفادة منه في تصحيح الواقع المعاصر.
- يمكن استخراج دراسة علمية تبين أثر البيئة الحياتية في تكوين العقلية الإسلامية: دراسة تحليلية، "ابن عاشور رحمته - ابن تيمية رحمته أنموذجاً".
- يمكن الخلوص من الاطلاع على سيرة الشيخ ابن عاشور رحمته بدراسة بعنوان: صلاح الآباء وأثره في الأبناء، دراسة تحليلية "ابن تيمية رحمته - ابن عاشور رحمته - الشوكاني رحمته: أنموذجاً".
- استخراج دراسة تبين علاقة ابن عاشور رحمته بغيره في النواحي الاجتماعية مثل: علم العمران بين ابن خلدون وابن عاشور الأسس والمظاهر والتصورات دراسة مقارنة.
- استغل المناوئين كبوات الشيخ ابن عاشور رحمته جاعلين منه شعاعاً في الحداثة والتجديد لذا فإن في قلب الطاولة عليهم رد لشبهاتهم وترهاتهم عن الشيخ رحمته وآرائه كراهيه في المساواة ومرئياته القيمة فيها.
- وفي الختام أحمد الله وأشكره سبحانه وهو أهل للحمد والشكر على نعمه العظيمة وآلائه الكريمة، فله الحمد جلّ وعلا وتقدس حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والحمد لله الذي أعانني على كتابة هذا البحث، فما كان فيه من صواب فمن الله تعالى وحده، وما كان فيه من خطأ أو نقص فهو من نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله تعالى، وأتوب إليه، وصلّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

#### فهرس المراجع والمصادر

- أصول الإنشاء والخطابة، لابن عاشور رحمته، محمد الطاهر، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، ط1، (الرياض: مكتبة دار المنهاج، 1433هـ-2012م).
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، لابن عاشور رحمته، محمد الطاهر، ط2، (تونس: دار

- سحنون، 1427هـ-2006م).
- أليس الصبح بقريب: التعليم العربي الإسلامي، لابن عاشور رحمته، محمد الطاهر، ط4، (دار سحنون: تونس، 1436هـ-2015م).
  - تاريخ تونس، للشرف، محمد الهادي، ط3، (تونس: دار سراس للنشر، 1993م).
  - تونس وجامع الزيتونة، لحسين، محمد الخضر، ط1، (سوريا: دار النوادر، 1431هـ-201م).
  - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، للبخاري، محمد بن إسماعيل، تحقيق: الناصر، محمد زهير، ط1، (بيروت: دار طوق النجاة، 1422هـ-2001م).
  - جمهرة مقالات ورسائل الشيخ الإمام محمد الطاهر ابن عاشور /، جمع وتحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ط1، (الأردن: دار النفائس للنشر والتوزيع، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م).
  - شعب الإيمان، للبيهقي، أحمد بن الحسين، ط1، (الرياض: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، 1423هـ-2003م).
  - شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، لابن الخوجة، محمد الحبيب، دط، (قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425هـ - 2004م).
  - القصيدة النونية، لابن القيم، محمد بن أبي بكر، ط1، (القاهرة: مكتبة ابن تيمية، 1415هـ-1994م).
  - كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، لابن عاشور /، محمد الطاهر، ط4، (دار سحنون: تونس، 1432هـ-2011م).
  - مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور، محمد الطاهر، ط2، (الأردن: دار النفائس، 1421هـ-2001م).
  - من أعلام الزيتونة، للغالي، بلقاسم، ط1، (تونس: دار سحنون، 1436هـ-2015م).
  - نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر بن عاشور، للحسيني، إسماعيل، ط1، (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1416هـ-1995م).
  - نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم، لابن عاشور، محمد الطاهر، (القاهرة: المطبعة السلفية، 1344هـ-1924م).
  - الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة، للخلف، أحمد بن عبد العزيز، ط1، (المدينة المنورة: دار الإمام مسلم، 1437هـ-2016م).